

عشر ، وهذا جناح الملك العظيم لويس الرابع عشر : في تلك
الغرف والأبهاء الشاسعة عاشت اللوكية الفرنسية أحقاباً تنصرف
على مصابرة عظيمة ، وفيها كم دبرت أمور وكم قررت شؤون
خطيرة كان لها أكبر الأثر في سير التاريخ الأوربي ؛ كان اللوفر
مدى قرنين قلب فرنسا النابض ، وأحياناً قاب أوروبا بأسرها
شأنه في عهد لويس الرابع عشر

وقد كان قصر فرساي يكمل حياة اللوفر ؛ وكان في أواخر
عهد اللوكية الفرنسية ملاذها ومستقرها : هذا جناح لويس
الرابع عشر الفخم ، وهذه غرفة نومه ، وهذا بهو عمله ومترينه ،
وهذا جناح الملك الخليلج لويس الخامس عشر قد أنث باناث
ما يزال إلى اليوم نموذجاً فنياً رائعاً ؛ أجل وهذا جناح خليلاته
دوياردى ودى بومبادور الخ على مقربة من جناح زوجه الشرعيه ،
مارى لكزنسكا ، وهذه أبهاء الحفلات الباذخة التي كان ينفق
عليها بغير حساب ، وكانت تنقل كاهل الشعب المسكين ؛ وأخيراً
ها هوذا « بهو الرايا » الشهير الذي عقد فيه مؤتمر الصلح في سنة
١٩١٩ وأملت فيه فرنسا وحلفاؤها الظافرون إرادتهم على ألمانيا
النهزمة ووقفت فيه ألمانيا وثيقة انكسارها وذلتها

في هذه البروع والمواطن الصامته التي تفدو اليوم آثاراً
يجمع إليها السائح كان يكتب تاريخ فرنسا وتاريخ أوروبا



على أن الأحداث والذكريات التاريخية الرائجة لم تجتمع
قدر اجتماعها في صرحين عظيمين ، هما قصر اثاتيان في رومة ،
وقصر الدوجات في البندقية (فينيزيا) فأما اثاتيان فهو بلا ريب
أجل آثار النصرانية وأعظمتها ؛ وفي اثاتيان الذي غدا ملكاً على
البابوية والكرسي الرسولي ، تتمثل عظمة البابوية ، وبذخ
البابوات ، وكل ما في عصر الأحياء من عبقرية وجمال وافتنان ؛
وليس اثاتيان قصرأ تستطيع أن تحيط برؤيته في ساعات ،
وإنما اثاتيان مدينة من القصور الرائجة يقتضى التجوال فيها
والتمتع بروائعها أياماً عديدة . وقد نشأ اثاتيان في أواخر القرن
الزابع عشر قصرأ متواضعاً إلى جانب كنيسة القديس بطرس ،
وغدا من ذلك التاريخ مركز الكرسي الرسولي ، ثم تصاب
عدة من البابوات على إنشائه وزخرفته ، فأقاموا إلى جانب القصر

القصور المثلى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

للصروح والهياكل العظيمة ، كما للأشخاص والدول
شخصيات تشغل مكانها في حياة الأمم والمصور ، وتؤدي
دورها في الحوادث والسير العظيمة ؛ فإذا ذهبت الدول وفنيت
الأجيال بقيت الصروح والهياكل شاهدة بما توالى عليها من
الاحداث والمحن تاق على الماضي نوعاً من الضياء اللقائم ، وتذكرنا
بتلك الأدوار العظيمة التي لعبتها في سير الدول والشخصيات الذاتية
وما زالت طائفة كبيرة من هذه الصروح والهياكل العظيمة
ترين العواصم الأثرية القديمة ؛ ولدينا في مصر عدة من الهياكل
الفرعونية الخالدة لعبت أدوارها العظيمة في تاريخ مصر القديمة ،
ولكننا لا نتحدث عنها هنا لأنها تقترن بمصور تفيض منا في
ظلمات الماضي البعيد ؛ ولم يبق بمصر من الصروح الاسلامية
العظيمة سوى المساجد ، وهي ليست مما نغنى به في هذا الفصل
وإنما نريد أن نتحدث هنا عن بعض الصروح الأوربية
العظيمة التي شهدناها ، والتي نعتبر بما لعبت من أدوار خطيرة
في الدول والمصور التي قامت فيها صروحاً « مثلى »



إن أسماء صروح كاللوفر وفرساي واثاتيان وقصر الدوجات
لا تمثل الهياكل والأبنية العظيمة التي تعرضها هذه الصروح
قطعاً ، ولا تقف أهميتها وروعيتها عند النقوش والذخائر الفنية
العظيمة التي تحتويها ، ولكن أعظم ما تدل به هذه الصروح
في نظرنا هو تراثها المنوي والحوادث والذكريات العظيمة التي
اقتربت باسمها

قصر اللوفر مثلاً يمثل عصوراً بأسرها من حياة اللوكية
الفرنسية ويمرض لنا في أبهائه الشاسعة وتقوشه وذخائره طرفة
من روعة هذه اللوكية وأيام عظمتها وازدهارها ؛ هذا جناح
هنرى الثانى ، وهذا جناح زوجه كاترين دي مديشى التي تملأ
سيرتها كثيراً من القصص الشائقة ؛ وهذه غرف ولديها فرانسوا
الثانى وشارل العاشر ؛ وهذا جناح هنرى الرابع ؛ ولويس الثالث

ماركو على المنعطف الذي يصل بين البحر وبين ميدان سان ماركو (القدوس مرتص) منزل الدوجات ومستقر الهيئات النيابية التي امتازت بها نظم البندقية في المصور الوسطى ، مثل المجلس الأعلى ومجلس المشرة الشهير الذي يثير اسمه كثيراً من الذكريات المروعة ؛ وكان رأس الجمهورية المفكر وقلبها النابض ، يكتب فيه تاريخها وتدبر فيه أسباب قوتها وعظمتها ، وتضطرم فيه تلك الدسائس والمؤامرات الخطيرة التي تدفع بها إلى برائن المحن الدسوية أو الفوضى ، وكان أخيراً حرمها المقدس وملاد دستورها ، وسلطانها الأعلى

ومن هم أولئك الدوجات الذين سمي المرح المتيد باسمهم ، وتوج اسمهم تاريخ البندقية الحافل من مبدئه إلى منتهاه ؟ كان الدوج (أو الدوق^(١)) رئيس الجمهورية وحاكمها الأعلى ، وكان في المبدأ يعين بالانتخاب على يد جميات من الشعب ، ثم أنشئ المجلس الأعلى في القرن الثاني عشر من نواب بينهم زعماء الولايات ، ومنهم ينتخب الدوج والوزراء وكبار القضاة ؛ وكانت البندقية جمهورية ، ولكن جمهورية ارستقراطية ، تقبض الارستقراطية على مصايرها وتتناثر فيها بالحكم والسطان ؛ وكان الشعب يجاهد طول الوقت لكي ينزع لنفسه تلك السلطات التي تستهد منه وتدار باسمه ؛ ولكن تلك الارستقراطية الطاغية المحتنيرة معاً كانت حريصة على سلطانها وزعامتها ؛ وفي القرن الثالث عشر استطاعت الارستقراطية أن تقصي الشعب نهائياً عن كل اشتراك في الشؤون العامة ، وذلك بأن حول المجلس الأعلى من هيئة نيابية انتخابية إلى هيئة وراثية خالدة ، وبذا قامت في البندقية تلك الارستقراطية الوراثية القوية التي بصفتها

(١) من اللاتينية x D أعني الأمير أو الدوق

القديم قصوراً وأجنحة جديدة بلغت أعظم مبلغ من الفخامة والبهاء ، فخص بالذكر منها مصلى سكستوس الرابع السمي كايلاستنا ، والذي خلف ميشيل آجلو فوق جدرانها من ريشته آيات خالديات ، وجناح آل بورجيا الذي أنشأه اسكندر السادس ، وأفاض عليه أبدع ما تمخض عنه الأحياء من بذخ وزخرف وبهاء ؛ وجناح چوايوس الثاني (لوجي) ، وهو الذي زينته رافائيل بآيات باهرات من فنه وريشته ؛ ولبث البابوات يزيدون في صروح اثنايكان وفي زخرفته حتى غدا مجموعة من القصور الشامخة الباذخة ، تضم عشرات من الأبهاء والأروقة الفخمة ، وعشرات الساحات والأفنية العظيمة ، ونحو عشرة آلاف غرفة . ولا يستطيع القلم مهما أوتي من قوة أن يصف ما تزدان به تلك الصروح والأبهاء الخالدة من نقوش وزخارف وصور تأخذ الأبصار بجهاها وروعها ؛ ويكفي أن تقول إنها مشوى لأبدع وأروع ما تمخضت عنه عبقرية الجمال والفن في أعظم وأزهى المصور

على أن روعة القائيكان لا تقف عند جبال الفن ؛ وإنما تمثل بنوع خاص في ذلك الدور الخطير الذي أداه في تاريخ النصرانية ، وتاريخ البابوية ، فقد كان اثنايكان وما زال رأس الكنيسة المفكر وروحها الحير ، وكان مدى عصور طويلة يمثت تلك السلطة الزمنية القوية التي زاولتها البابوية مع سلطانها الروحية جنباً إلى جنب ؛ وكانت أبهاء اثنايكان وغداده مسرحاً لكثير من الحوادث التاريخية البارزة ، وكانت أيضاً مسرحاً لكثير من المؤامرات والدسائس والمآسي المروعة

وليس بين صروح أوروبا الأثرية كلها صرح يثير ما يثيره القائيكان في النفس من روعة وإجلال وأعجاب ؛ وسيدق اثنايكان عصوراً علما على عظمة البابوية الذاهبة ، وسيدق حلية الآثار النصرانية والكنسية كلها

ولنتحدث بعد ذلك عن قصر الدوجات ذلك المرح الذي لا يدلى مظهره المتواضع بذلك الدور العظيم الذي لعبه في تاريخ أعظم جمهوريات المصور الوسطى

كان قصر الدوجات Palazzo ducale الذي لا يزال يجثم بمخاياه العريية البيزنطية وشرفاته المنخفضة بجوار كنيسة القديس

غرفة اجتماع مجلس المشرة ! وهناك بالضبط عشرة مقاعد يتوسطها مقعد الدوج ؛ وفي تلك الغرفة التواضعة التي يخيل اليك أنها تمثل روح المصور الوسطى ، وتمثل الصرامة والغدر والسلطان المطلق مما ، كانت تبرم أمم الشؤون وأخطرها ، وتصدر أعظم القرارات في حياة الجمهورية ، ولقد زينت جدران هذه الأبهاء وسقفها بطائفة بديمة من الصور التاريخية رأينا بينها صورة لافتتاح الصليبيين والبنادقة لقسنطينية سنة ١٢٠٣ وموقعة لباتيو البحرية الشهيرة التي هزم فيها الترك سنة ١٥٧١ وقد عرفت مصر الاسلامية عظيمة الجمهورية البندقية وعظمة الدرجات في المصور الوسطى وكانت ثمة في عصور السلام علائق ومحاطبات منتظمة بين بلاط مصر وبين قصر الدرجات ، وكان البلاط المصري يخاطب « الدوج أو الدوك » باسمه مقرونا بالقباب التظيم والتكريم

هذه طائفة من الصروح العظيمة التي تمثل بماضيها الحافل عصوراً وأحقاباً عظيمة من التاريخ ؛ وهي بذلك صروح مثل كالأهم والشخصيات النالي ، لا تقف عظمتها عند تلك الأبنية الشاغرة وتلك الروائع الفنية التي أسبغتها عليها عبقرية الأجيال والمصور الزاهرة ؛ ولكن أشد ما تمثل عظمتها في تلك الصفحات الخالدات التي سجلتها في بطون التاريخ ، وذلك التراث المنوي الزاخر الذي يتمر كل رحابها وجنابها الصامته

محمد عبد الله هادي

وحي القلم

تم طبع الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب في ٨٠٠ صفحة كبيرة بحرف مشكول على ورق فاخر . وهما الآن في عمل التغليف وسيرسل الكتاب إلى المشتركين في أوائل يناير ثم يمرض في إدارة الرسالة والمكاتب الكبيرة بالتمن الذي سيعلم منه

الارستقراطية مجلس المشرة الشهير ، وخول سلطات استثنائية وعهد إليه بحماية الجمهورية وسحق كل جريئة وثورة يديرها الخوارج والطامعون ، فتم بذلك للاستقراطية سلطانها المطلق ، وغدت كل شيء في نظم الجمهورية وحياتها ومصايرها

وتقصر الدرجات من أقدم الصروح التاريخية يرجع بناؤه إلى نحو ألف عام ، ولكن القصر القديم أحرق وزالت معالمه غير مرة خلال الحوادث والفتن ، وأعيد بناؤه ، وتمهده الدرجات بالانشاء والزخرف حتى اتخذ شكله الحالي منذ القرن الرابع عشر ؛ وتشرف واجهة القصر الأمامية التي تذكرنا حناياها المرمرية بالمشرفيات الشرقية ، على منطف سان ماركو ، وتشرف واجهته الخلفية على قناة من الماء ؛ ويقع في مواجته بناء عتيق قائم هو سجن الدولة القديم ؛ وتربط الصرحين قنطرة معلقة هي قنطرة الزفرات الشهيرة (بونتي دي سوسيري) التي تمثل اسمها في كثير من القصص المؤسي ، والتي يقال إنها لعبت أيما دور في مصارع النبلاء والسادة ، يدفعون منها إلى السجن أو يلقون إلى الماء

وتتكون أبنية القصر من طبقات ثلاث تشرف من الداخل على فناء مستطيل واسع ، وليس في مظاهرها الخارجية كثير من الزخرف ، ولكنها تبدو قائمة عابرة تؤذن بأنها كانت أيام مجدها ملاذ الكتمان والصرامة ، فاذا نفذت إلى الداخل أخذت روعة النرف والأبهاء الشاسمة الفخمة التي زينت جدرانها وسقفها بأجمل ما خلقته عبقرية الأحياء من النقوش والصور ؛ ولقد زينت شرفات الطبقة الأولى بتماثيل عدة من مشاهير الدرجات ، وزينت إحدى غرف الطبقة الثانية بطائفة كبيرة من الدروع والأسلحة القديمة التي كان يرتديها أو يتقلدها الدرجات أو قادة الجمهورية ؛ بيد أن أروع ما في هذا القصر الشهير هو الطابق الثالث حيث يوجد جناح الدوج والأبهاء الرسمية التي تحيط به ؛ هذا هو اجتماع المجلس الأعلى لا يزال بتفاسيمه ومقاعده الخشبية القديمة وفي صدره مقعد الدوج ؛ وهذا هو البهو الأكبر حيث تتمتع الاجتماعات الرسمية الكبرى ، وهناك في أعماق القصر وراء هذه الأبهاء الشاسعة توجد غرفة متوسطة متواضعة أقيمت في صدرها عدة مقاعد خشبية هي